

فنون بلاغية متشاكلة م.د. أحمد جلعو أدياب الراشدي

المخلص :

تقوم هذه الدراسة على حلّ المشكل البلاغي لبعض الفنون البديعية، إذ تبدو في ظاهر الأمر أنها متشابهة متشاكلة، ولكنها في الحقيقة مختلفة متباينة، ومن جميل الموافقة أن تعلم أن هذه الفنون جميعها من المحسنات المعنوية في علم البديع، وهذا الأمر يوضح سبب هذا التشابه والاشتباه بين هذه الفنون؛ إذ يجمعها جميعها المعنى العام، ويفرق بينها السبب الباعث والغرض المقصود .

وقد قامت هذه الدراسة على بيان معنى المشاكلة لغة، وعلاقته بموضوع الدرس، وكشف العلاقات بين هذه الفنون، وذلك بجعل أحدها أصلاً تقارن به بقية غيرها؛ للكشف عن هوية كلٍ منها واختصاصه بما وضع له اصطلاحاً وحداً ومعنى .
الكلمات المفتاحية: (المشكل البلاغي، الفنون البديعية).

Comparative Rhetorical Arts

Dr. Ahmed Jalaou Dhiab Al-Rashidi

Abstract:

This study is based on solving the rhetorical problem of some creative arts, as on the surface they seem to be very similar, but they are In fact, they are different and different, and it is nice to know that all of these arts are moral enhancers in the science of theology. Yes, and this explains the reason for this similarity and suspicion between These arts; As they are all united by the general meaning, and differentiated between them is the motivating reason and the intended purpose. This study was based on clarifying the meaning of the problem linguistically, its relationship to the subject of the lesson, and revealing the relationships between these arts. Perhaps one of them is an asset to which the rest of them are compared; To reveal the identity of each of them and its specificity according to what a single term and meaning has been assigned to it.

Keywords: (rhetorical problem, rhetorical arts).

مقدمة:

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَحْكَمَ كِتَابَهُ لِذَوِي الْمُتَشَابِهِ وَالْإِشْكَالِ، وَفَصَّلَ مَا فِيهِ مِنْ عُمُومٍ، وَبَيَّنَّ مَا فِيهِ مِنْ إِجْمَالٍ، وَالصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ عَلَى مَنْ جَاءَ بِأَحْسَنِ مَقَالٍ، وَأَجْمَلَ فِعَالٍ، فَجَمَعَ اللَّهُ لَهُ بَيْنَ الْجَلَالِ وَالْجَمَالِ وَالْكَمَالِ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ، وَكُلِّ مَنْ غَزَلَ بِمِغْزَلِهِمْ، وَنَسَجَ عَلَى ذَلِكَ الْمِنْوَالِ .
وَبَعْدُ..

فَإِنَّ مُعْظَمَ عُلُومِ الْبَلَاغَةِ مُخْتَلِفَةٌ مُتَبَايِنَةٌ، وَإِنْ بَدَأَ بَعْضُهَا فِي صُورٍ مُؤْتَلِفَةٍ مُتَشَابِهَةٍ؛ وَلَا سِيَّما مَا كَانَ مِنْهَا مِنْ عُلُومِ الْبَدِيعِ وَفُنُونِهِ؛ فَإِنَّ مُحَسِّنَاتِ هَذَا الْعِلْمِ، وَأَخْصُ مِنْهَا الْمُحَسِّنَاتِ الْمَعْنَوِيَّةَ تَتَشَاكُهُ فِيهِ وَتَتَشَاكُلُ إِلَى حَدِّ بَعِيدٍ؛ لِتَعَلُّقِهَا بِالْمَعَانِي الْعَقْلِيَّةِ الْمُجَرَّدَةِ، إِلَّا أَنَّهَا تَخْتَلِفُ فِي الْأَسْمِ وَالرَّسْمِ، وَفِي اللَّفْظِ وَالْمَعْنَى، وَفِي الْعَرَضِ وَالْحِكْمَةِ؛ وَهَذَا مَا دَعَانَا لِلْبَحْثِ فِي هَذَا الْمَوْضُوعِ؛ لِذَفْعِ تَوْهَمِ الْمُشَاكَهَةِ وَالْمُمَاتَلَةِ، وَبَيَانِ أَوْجِهِ الْمُخَالَطَةِ وَالْمُشَاكَلَةِ؛ تَسْهِيلاً لِلْبَاحِثِينَ وَالذَّارِسِينَ .

وَقَدْ اشْتَمَلَ الْبَحْثُ عَلَى دِرَاسَةِ حَمْسَةِ فُنُونٍ بَلَاغِيَّةٍ بَدِيعِيَّةٍ، قَدْ تَبَدُّو لِلْبَعْضِ - لِأَوَّلِ وَهَلَةِ - وَفِي ظَاهِرِ الْأَمْرِ - مُتَشَابِهَةٌ أَوْ مُتَمَاتَلَةٌ، إِلَّا أَنَّهَا تَخْتَلِفُ وَتَتَبَايِنُ فِي حَقِيقَتِهَا، وَهَذِهِ الْفُنُونُ هِيَ (الْقَوْلُ بِالْمَوْجِبِ، وَالتَّوْرِيَّةُ، وَتَجَاهُلُ الْعَارِفِ، وَالْمُشَاكَلَةُ، وَالْأُسْلُوبُ الْحَكِيمُ) .

وَقَدْ آثَرْتُ وَصَفَ هَذِهِ الْفُنُونِ الْبَلَاغِيَّةِ بِالْ(مُتَشَاكَلَةِ) دُونَ الْمُتَشَابِهَةِ أَوْ الْمُتَبَايِنَةِ؛ لِأَنَّ التَّشَاكُلَ يُوجِي بِهِمَا مَعاً، فَهَذِهِ الْفُنُونُ الْحَمْسُ مُتَشَابِهَةٌ مِنْ وَجْهِ، وَمُتَبَايِنَةٌ مِنْ وَجْهِ آخَرَ، كَمَا سَنُبَيِّنُ ذَلِكَ لِاحْتِجَابٍ .

وَفِي الْخِتَامِ أَرْجُو أَنْ أَكُونَ قَدْ وُفِّتُ - بَعُونَ اللَّهُ وَفَضَّلِهِ - إِلَى كَشْفِ اللَّتَامِ عَنْ هَذِهِ الْمُشَاكَلَةِ، مَعَ بَيَانِ أَوْجِهِ الْمَوْافَقَةِ وَالْمُفَارَقَةِ فِي هَذِهِ الْمُقَابَلَةِ، وَهُوَ مِنْ جُهْدِ الْمُقَلِّ، وَعَوْنِ الْمُعِزِّ الْمُدَلِّ، وَاللَّهُ وَحْدَهُ هُوَ الْمَوْفِقُ لِلصَّوَابِ، وَالْهَادِي لِأَحْسَنِ الْجَوَابِ، وَأَجْزُ دَعْوَانَا أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ .

مَوْضُوعُ الدَّرْسِ : مُشَاكَلَةٌ بَيْنَ بَعْضِ الفُنُونِ البَلَاغِيَّةِ :

المُشَاكَلَةُ: مُعَاوَلَةٌ مِنَ الشُّكْلِ، وَالشُّكْلُ: المِثْلُ، يُقَالُ: هَذَا عَلَى شَكْلِ هَذَا، أَي: عَلَى مِثْلِ هَذَا. وَفُلَانٌ شَكْلٌ فُلَانٍ، أَي: مِثْلُهُ فِي حَالَتِهِ، قَالَ تَعَالَى: {وَأَخْرَجْنَا مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجًا} (١) (ص/٥٨).
وَأَصْلُ الشُّكْلَةِ: الحُمْرَةُ تَخْتَلِطُ بِالبَيَاضِ، وَهَذَا شَيْءٌ أَشْكَلُ. وَمِنْهُ قِيلَ لِلأَمْرِ المُشْتَبِهِ: مُشْكَلٌ. يُقَالُ: أَشْكَلُ عَلَيَّ الأَمْرُ إِذَا اخْتَلَطَ، وَالأَشْكَلُ عِنْدَ العَرَبِ: اللُّوْنَانِ المُخْتَلِطَانِ (٢).
قَالَ جَرِيرٌ: [الطويل]

فَمَا زَالَتِ القُلُوبُ تَمُورُ دِمَاؤُهَا ... بِدِجَلَةٍ، حَتَّى مَاءٌ بِدِجَلَةٍ أَشْكَلُ (٣).

فَالشَّيْنُ وَالكَافُ وَاللَّامُ مُعْظَمُ بَابِهِ المُمَاتِلَةُ. تَقُولُ: هَذَا شَكْلُ هَذَا، أَي مِثْلُهُ. وَمِنْ ذَلِكَ يُقَالُ أَمْرٌ مُشْكَلٌ (٤) كَمَا يُقَالُ أَمْرٌ مُشْتَبِهٌ، أَي هَذَا شَابَهَ هَذَا، وَهَذَا دَخَلَ فِي شَكْلِ هَذَا، ثُمَّ يُحْمَلُ عَلَى ذَلِكَ (٥).
وَمِمَّا تَقَدَّمَ يُعْلَمُ أَنَّ المُخَالَطَةَ بَيْنَ الأَجْنَاسِ المُتَشَابِهَةِ مِنْ أَسْبَابِ المُشَاكَلَةِ، كَمَا أَنَّ المُشَابَهَةَ مِنْ أَسْبَابِ الاِشْتِبَاهِ؛ قَالَ تَعَالَى: {وَالزَّيْنُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ} (الأنعام/٩٩).
وَقَرَأَ: {مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ}، قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ: مُتَشَابِهٌ فِي المُنْظَرِ، وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ فِي الطَّعْمِ (٦).
وَمِنْ مَجْمُوعِ القِرَاءَتَيْنِ دِلَالَةٌ وَاضِحَةٌ عَلَى أَنَّ التَّشَابُهَ سَبَبٌ فِي الاِشْتِبَاهِ، كَمَا هُوَ سَبَبٌ فِي التَّشَاكُلِ؛ لِأَنَّ اللهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ إِنَّمَا أَخْبَرَ عَنِ المَعْنَى الذِّي مِنْ أَجْلِهِ قَالَ القَوْمُ: " قَالُوا هَذَا الذِّي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا" (البقرة/٢٥).

فَأَشْكَلُ عَلَيْهِ وَاشْتَبَهَ عَلَيْهِ بِمَعْنَى، كَمَا تَقَدَّمَ فِي اللِّسَانِ؛ وَعَلَيْهِ فَوَضَّفُ هَذِهِ الفُنُونِ البَلَاغِيَّةِ بِالمُتَشَاكَلَةِ (٧) أَوْلَى مِنْ وَصْفِهَا بِالمُتَشَابَهَةِ أَوْ المُتَبَايِنَةِ؛ وَذَلِكَ لِجَمْعِ بَيْنِ مُشْكَلِ الدَّرْسِ البَلَاغِيِّ وَسَبَبِهِ، وَهُوَ اخْتِلَاطُ مَعَانِي بَعْضِ المُصْطَلَحَاتِ البَلَاغِيَّةِ وَالتَّبَاسُ بَعْضِهَا بِبَعْضٍ.

(١) كِتَابُ العَيْنِ، الخَلِيلُ: ٢٩٥/٥.

(٢) لِسَانُ العَرَبِ، ابْنُ مَنظُورٍ: ٣٥٧/١١.

(٣) دِيوَانُ جَرِيرٍ: تَحْقِيقُ: د. نُعْمَانُ مُحَمَّدُ أَمِينُ طه: ١٤٣/١.

(٤) وَقَدْ أُلْفِتْ كُتُبٌ فِي مُشْكَلِ القُرْآنِ وَمُشْكَلِ الحَدِيثِ، وَمُشْكَلِ الأَثَارِ وَالأَشْعَارِ وَالإِعْرَابِ، وَكَذَا يُقَالُ فِي المُتَشَابِهِ

(٥) مَقَابِيسُ اللُّغَةِ، ابْنُ فَارِسٍ: ٢٠٤/٣.

(٦) تَفْسِيرُ القُرْآنِ العَظِيمِ، ابْنُ كَثِيرٍ: ٣٤٨/٣.

مُقْتَرَحُ الدَّرْسِ :

لَمَّا كَانَتْ الْمُقَارَنَةُ بَيْنَ هَذِهِ الْفُنُونِ الْبَلَاغِيَّةِ وَالْمُحَسِّنَاتِ الْبَدِيعِيَّةِ الْمُعْنَوِيَّةِ الْخَمْسِ، وَهِيَ: (الأسلوب الحكيم، والقول بالموجب، والتورية، وتجاهل العارف، والمشاكله) لَيْسَ بِالْأَمْرِ الْيَسِيرِ؛ لِأَنَّهُ سَيَقْتَضِي إِجْرَاءَ عَشْرِ مُقَارَنَاتٍ مُطَوَّلَةٍ بَيْنَ كُلِّ مِنْهَا، وَهَذَا مِمَّا لَا تَسْتَوْعِبُهُ أَوْرَاقُ هَذِهِ الدَّرَاسَةِ الْمُتَوَاضِعَةِ؛ فَضَلًّا عَنْ كَوْنِ الْمَشَاكَلَةِ بَيْنَ بَعْضِ هَذِهِ الْفُنُونِ لَيْسَتْ بِظَاهِرَةٍ؛ فَقَدْ ارْتَبْنَا أَنْ نَجْعَلَ أَحَدَ هَذِهِ الْفُنُونِ أَصْلًا تُقَارَنُ بِهِ بَقِيَّتُهَا، وَمِنْ هَذِهِ الْمُقَارَنَةِ يُمَكِّنُنَا الْإِطْلَاحُ عَلَى حَقِيقَةِ كُلِّ مِنْهَا وَخَصَائِصِهِ . وَبَعْدَ التَّأَمُّلِ وَالنَّظَرِ فِي هَذِهِ الْفُنُونِ وَجَدْنَا أَنَّ الْأُسْلُوبَ الْحَكِيمَ هُوَ الْأَصْلَحُ مِنْ بَيْنِهَا لِيَكُونَ أَصْلًا لَهَا؛ وَذَلِكَ لِتَعْلُقِهِ بِاللَّفْظِ وَالْمَعْنَى مَعًا، وَبِالسُّؤَالِ وَالْجَوَابِ، وَسَائِرِ أَنْوَاعِ الْخِطَابِ عِلَاقَةً ظَاهِرَةً وَثَبَتَةً .

الْمُقَارَنَةُ بَيْنَ الْفُنُونِ الْبَلَاغِيَّةِ الْخَمْسِ:

أَوَّلًا: الْأُسْلُوبُ الْحَكِيمُ: وَهُوَ تَلْقَى الْمُخَاطَبَ بِغَيْرِ مَا يَتَرَقَّبُ أَوْ إِجَابَةَ السَّائِلِ بِغَيْرِ مَا يَتَطَلَّبُ؛ لِحِكْمَةِ^(٨) . وَيَكُونُ بِطَرِيقَتَيْنِ :

الأولى: حَمَلِ لَفْظِ كَلَامِ الْمُخَاطَبِ أَوْ السَّائِلِ عَلَى خِلَافِ مُرَادِهِمَا مِمَّا يَحْتَمِلُهُ لَفْظُ كَلَامِهِمَا .

فقد «سأل رجلٌ بلالاً (رضي الله عنه)، وقد أقبل من الحلب، فقال له: من سبق؟ قال: سبق المفربون. قال إنما أسألك عن الخيل! قال: وأنا أجيئك عن الخير، فترك بلالٌ جوابَ لفظه إلى خبرٍ هو أنفع له»^(٩) .

الثانية: تَرْكُ مُقْتَضَى الْخِطَابِ أَوْ السُّؤَالِ إِلَى غَيْرِهِمَا مِنْ دُونِ حَمَلِ . وقد «قالوا: كان الحطيئة يزعى غنماً، وفي يده عصاً، فمرَّ به رجلٌ، فقال له: يا راعي الغنم، ما عندك؟ قال: عجراً من سلم^(١٠) - يعني عصاه-، قال: إنني صيف! قال: للصيفان أعددتها»^(١١) .

(٧) وَمِنْ بَابِ الْمُوَافَقَةِ فَإِنَّ أَحَدَ هَذِهِ الْفُنُونِ الْخَمْسِ هُوَ مُصْطَلَحُ الْمَشَاكَلَةِ، وَإِنْ كَانَتْ مُشَاكَلَةً بَلَاغِيَّةً إِلَّا أَنَّ أَصْلَهَا لُغَوِيٌّ .

(٨) يُنْظَرُ: مُقْتَاَحُ الْعُلُومِ: ٣٢٧.

(٩) يُنْظَرُ: الْحَيَوَانَ، الْجَاخِظُ: ٢٧٦/٤.

وهَذَا النَّعْرِيفُ قَدْ اشْتَمَلَ عَلَى أَرْكَانِ هَذَا الْأُسْلُوبِ الثَّلَاثِ وَهِيَ (التَّخَاطُبُ وَالْعُدُولُ وَالْعَايَةُ).

ثَانِيًا : الْقَوْلُ بِالْمَوْجِبِ^(١٢):

وَهُوَ "نَوْعٌ مِنَ الْبَدِيعِ، غَرِيبُ الْمَعْنَى، لَطِيفُ الْمَبْنَى، رَاجِحُ الْوِزْنِ فِي مَعْيَارِ الْبَلَاغَةِ، مُفْرَعُ الْحُسْنِ فِي قَالِبِ الصِّيَاغَةِ، هُوَ وَالْأُسْلُوبُ الْحَكِيمُ رَضِيْعًا لِبَانٍ، وَفَرَسًا رِهَانٍ، حَتَّى زَعَمَ بَعْضُهُمْ أَنَّ أَحَدَهُمَا عَيْنُ الْآخَرِ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ"^(١٣). وَالْقَوْلُ بِالْمَوْجِبِ ضَرْبَانِ^(١٤) :

الْأَوَّلُ: أَنْ تَثْبُتَ صِفَةٌ لِشَيْءٍ، فَتَنْقُلُ هَذِهِ الصِّفَةَ إِلَى شَيْءٍ آخَرَ، دُونَ أَنْ تَتَعَرَّضَ لِلأُولَى بِالْإثْبَاتِ أَوْ النَّفْيِ؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: «يَقُولُونَ لَنْ نَرْجِعَ إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ» (الْمُنَافِقُونَ: ٨). فَإِنَّهُمْ كَانُوا بِالْعِزَّةِ عَنِ فَرِيْقِهِمْ، وَبِالذِّلَّةِ عَنِ فَرِيْقِ الْمُؤْمِنِينَ، وَاثْبُتُوا لِلأَعَزِّ الْإِخْرَاجَ، فَأَثْبَتَ اللَّهُ الْعِزَّةَ لِذَاتِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ، مِنْ غَيْرِ تَعَرُّضٍ لِلْمُنَافِقِينَ بِإثْبَاتِ صِفَةِ الْعِزَّةِ لَهُمْ أَوْ نَفْيِهَا عَنْهُمْ .

الضَّرْبُ الثَّانِي: وَهُوَ «حَمْلُ لَفْظٍ وَقَعَ فِي كَلَامِ الْغَيْرِ عَلَى خِلَافِ مُرَادِهِ مِمَّا يَحْتَمِلُهُ الْكَلَامُ»^(١٥). كَقَوْلِ ابْنِ الْحَجَّاجِ^(١٦):

قَالَ: نَقَلْتُ إِذْ أَتَيْتُ مِرَارًا قُلْتُ نَقَلْتُ كَأَهْلِي بِالْأَيْدِي

(١٢) الْعَجْرَاءُ: الَّتِي فِيهَا عَقْدٌ، وَالسَّلْمُ: شَجَرٌ مِنَ الْعِصَاهِ. يُنْظَرُ: تَهْدِيبُ اللَّغَةِ: ٣٦١/١.

(١٣) الْبَيَانُ وَالتَّيْبِيْنُ: ٩٠/٢.

(١٤) وَلَمْ يَذْكُرْهُ السَّكَّاكِي، فَافْتَبَسَهُ الْخَطِيبُ مِنْ ابْنِ أَبِي الْإِصْبَعِ، فَهُوَ مِنْ مُبْتَكِرَاتِهِ، يُنْظَرُ: الصَّنْعُ الْبَدِيعِي: ٣٠٦.

(١٥) أَنْوَارُ الرَّبِيعِ فِي فَنِّ الْبَدِيعِ، ابْنِ مَعْصُومِ الْمَدَنِيِّ: ١٩٨/٢.

(١٦) يُنْظَرُ: الْإِيضَاحُ: ٣٥٢.

(١٧) فَنِّ الْبَدِيعِ: ١٠٣.

(١٨) نَهَايَةُ الْإِرْبِ فِي فُنُونِ الْأَدَبِ، النُّوَيْرِيُّ: ١٧١/٧..

قال: طَوَّلْتُ. قُلْتُ: أَوْلَيْتَ طَوَّلًا قال: أَبْرَمْتُ قُلْتُ: حَبَلٌ وَدَادِي

وَهَذَا الْقِسْمُ هُوَ الْمُسْتَعْمَلُ بَيْنَ النَّاسِ وَنَظْمُهُ الشُّعْرَاءُ، وَهَذَا الصَّرْبُ هُوَ الَّذِي يَتَدَاخَلُ مَعَ الْأُسْلُوبِ الْحَكِيمِ، وَالْمَقْصُودُ نَوْعٌ مِنْهُ، وَهُوَ مَا كَانَ فِيهِ حَمَلٌ اللَّفْظِ عَلَى خِلَافِ مُرَادِ قَائِلِهِ، وَقَدْ بَيَّنَّ ابْنُ مَعْصُومِ الْمَدَنِيِّ بَأَنَّهُمَا يَجْتَمِعَانِ فِي كَوْنِ كُلِّ مِنْهُمَا مِنْ إِخْرَاجِ الْكَلَامِ لَا عَلَى مُفْتَضَى الظَّاهِرِ، وَيَفْتَرِقَانِ بِاعْتِبَارِ الْغَايَةِ، فَإِنَّ الْقَوْلَ بِالْمُوجِبِ غَايَتُهُ رَدُّ كَلَامِ الْمُتَكَلِّمِ وَعَكْسِ مَعْنَاهُ، وَالْأُسْلُوبُ الْحَكِيمُ هُوَ تَلْقَى الْمُخَاطَبِ بَعِيرٍ مَا يَتَرَقَّبُ بِحَمَلِ كَلَامِهِ عَلَى خِلَافِ مُرَادِهِ تَنْبِيهًا عَلَى أَنَّهُ الْأَوْلَى بِالْقَصْدِ، أَوْ إِجَابَةً السَّائِلِ بِغَيْرِ مَا يَتَطَلَّبُ بِتَنْزِيلِ سُؤَالِهِ مَنْزِلَةً غَيْرِهِ، عَلَى أَنَّهُ الْأَوْلَى بِجَالِهِ أَوْ الْمُهْمُ لَهُ»^(١٧). وَعَلَيْهِ فَإِنَّهُمَا يَشْتَرِكَانِ فِي الْوَسِيلَةِ، وَيَفْتَرِقَانِ فِي الْغَايَةِ، فَيَتَّفِقَانِ فِي الْوَسِيلَةِ فِي كَوْنِ كُلِّ مِنْهُمَا يَقُومُ عَلَى:

أولاً: الْمَخَاوَرَةَ بَيْنَ اثْنَيْنِ؛ مُخَاطَبِ وَمُخَاطَبٍ، أَوْ سَائِلِ وَمُجِيبٍ .
ثانياً: الْعُدُولَ فِي الْخِطَابِ أَوْ الْعُدُولَ الْجَوَابِ إِلَى غَيْرِ مَا يَتَوَقَّعُ .

وَيَفْتَرِقَانِ فِي الْحِكْمَةِ وَالْغَايَةِ مِنْهُمَا؛ فَالْأُسْلُوبُ الْحَكِيمُ غَايَتُهُ تَنْبِيهُ الْمَخَاطَبِ أَوْ السَّائِلِ لِمَا هُوَ أَوْلَى بِالْقَصْدِ، وَمُرَاعَاةَ مَا هُوَ أَوْلَى بِهِ وَأَهْمُ لَهُ، فِي حِينِ غَايَةِ الْقَوْلِ بِالْمُوجِبِ هُوَ رَدُّ كَلَامِ الْمُتَكَلِّمِ مِنْ فَحْوَى لَفْظِهِ، وَعَكْسُ مَعْنَاهُ.

وَيُمْكِنُ الْقَوْلُ إِنَّ الْأُسْلُوبَ الْحَكِيمَ أَحْصَى مَعْنَى- مِنْ هَذَا الْوَجْهِ- مِنَ الْقَوْلِ بِالْمُوجِبِ، فَكُلُّ أُسْلُوبٍ حَكِيمٍ افْتَقَرَ إِلَى هَذِهِ الْغَايَةِ أَوْ تَلَكَّ الْحِكْمَةَ فَهُوَ قَوْلٌ بِالْمُوجِبِ، وَكُلُّ قَوْلٍ بِالْمُوجِبِ اعْتَرَتْهُ تِلْكَ الْحِكْمَةُ فَهُوَ مِنَ الْأُسْلُوبِ الْحَكِيمِ .

ثَالِثًا: التَّوْرِيَةُ:

(١٧) أنوار الربيع: ٢/٢٠٩.

وُسَمِيَ الْإِبْهَامَ وَالنُّوجِيَةَ وَالتَّخْيِيلَ وَالْمَعَالِطَةَ، وَ (التَّوْرِيَةَ) أَوْلَى بِالنَّسْمِيَةِ؛ لِقُرْبِهَا مِنْ مُطَابَقَةِ الْمُسَمَى؛ لِأَنَّهَا مَصْدَرٌ وَرَبِيتُ الْخَبَرِ تَوْرِيَّةٌ إِذْ سَتَرْتَهُ وَأَظْهَرْتَهُ غَيْرُهُ، كَأَنَّ الْمُتَكَلِّمَ يَجْعَلُهُ وَرَاءَهُ بِحَيْثُ لَا يَظْهَرُ^(١٨)، وَهِيَ: «أَنْ يَذْكَرَ الْمُتَكَلِّمُ لَفْظًا مُفْرَدًا لَهُ مَعْنِيَانِ، قَرِيبٌ ظَاهِرٌ غَيْرُ مُرَادٍ، وَبَعِيدٌ خَفِيٌّ هُوَ الْمُرَادُ، لِقَرِينَةِ خَفِيَّةٍ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: «هُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ» (الأنعام: ١٠)، أَرَادَ بِقَوْلِهِ: (جَرَحْتُمْ) مَعْنَاهُ الْبَعِيدَ: وَهُوَ ارْتِكَابُ الذُّنُوبِ»^(١٩)، وَالتَّوْرِيَّةُ مِنَ الْمُحَسِّنَاتِ الْمَعْنَوِيَّةِ فِي عِلْمِ الْبَدِيعِ، بَلْ هِيَ «مِنْ أَعَزِّ أَنْوَاعِهِ، وَأَعْلَاهَا رُبْنَةً»^(٢٠)، وَهُوَ «أَحَدُ مَعَارِيضِ الْبُلْغَاءِ الَّذِينَ يَرِفُلُونَ فِي الْحَلْلِ الرَّقَائِقِ، وَيَنْجَوْنَ بِفُسْحَتِهَا مِنَ الْمَضَاتِقِ»^(٢١) حَتَّى إِنَّكَ «لَا تَرَى بَابًا فِي عِلْمِ الْبَيَانِ أَدَقَّ وَلَا أَرْقَّ وَلَا الطَّفَّ مِنْ هَذَا الْبَابِ»^(٢٢).

وَالْفَرْقُ بَيْنَ الْأُسْلُوبِ الْحَكِيمِ وَالتَّوْرِيَّةِ هُوَ أَنَّ بَيْنَهُمَا عُمُومًا وَخُصُوصًا مِنْ وَجْهِ؛ فَلَيْسَ كُلُّ أُسْلُوبٍ حَكِيمٍ يَشْتَمِلُ عَلَى تَوْرِيَّةٍ، وَلَا كُلُّ تَوْرِيَّةٍ هِيَ مِنَ الْأُسْلُوبِ الْحَكِيمِ. فَالتَّوْرِيَّةُ تَشْتَرِكُ مَعَ الْأُسْلُوبِ الْحَكِيمِ فِي كَوْنِ كُلِّ مِنْهُمَا مِنْ إِخْرَاجِ الْكَلَامِ لَا عَلَى مُفْتَضَى الظَّاهِرِ، وَكَوْنِهَا تُمَثِّلُ الْعُنْصَرَ الرَّئِيسَ الَّذِي يَبْكِي عَلَيْهِ أَحَدُ نَوْعِي الْأُسْلُوبِ الْحَكِيمِ، وَهُوَ مَا كَانَ فِيهِ حَمَلٌ لَفْظِ الْمُتَكَلِّمِ - مُخَاطَبًا أَوْ سَائِلًا- عَلَى غَيْرِ مُرَادِهِ مِمَّا يَحْتَمِلُهُ ذَلِكَ اللَّفْظُ، وَلِذَا فَهِيَ تَعُضُدُ هَذَا الْأُسْلُوبَ فِي تَحْقِيقِ غَرَضِهِ، لَكِنَّهَا تَفْتَرِّقُ عَنِ الْأُسْلُوبِ الْحَكِيمِ فِي أَنَّهَا لَا يُشْتَرَطُ لَهَا أَنْ تَكُونَ مُحَاوَرَةً بَيْنَ اثْنَيْنِ كَمَا سَبَقَ فِي الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ، كَمَا لَا يُشْتَرَطُ فِيهَا إِفَادَةُ السَّائِلِ أَوْ الْمُخَاطَبِ وَتَنْبِيهُهُمَا، بَلْ هِيَ إِلَى التَّمْوِينِ أَقْرَبُ

(١٨) يُنْظَرُ: خِرَانَةُ الْأَدَبِ: ٣٩/٢، أَنْوَارُ الرَّبِيعِ: ٣٥٧/١.

(١٩) جَوَاهِرُ الْبَلَاغَةِ، الْهَاشِمِيُّ: ٣٠١. وَقَوْلُهُ: «وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ» مُوَافِقٌ لِمَنْظُومِ شَطْرٍ مِنَ الْوَافِرِ؛ إِشَارَةً إِلَى أَنَّ قَوْلَ الشَّعْرِ قَدْ يَكُونُ مِنَ الْإِجْتِرَاحِ؛ فَلَيْتَأَمَّلْ هَذَا الْمَعْنَى وَلْيُحْذَرْ.

(٢٠) خِرَانَةُ الْأَدَبِ: ٦١/١.

(٢١) زَهْرُ الْأَكْمَرِ فِي الْأَمْثَالِ وَالْحِكْمِ، نُورُ الدِّينِ النُّوسِي: ٢٣٣/٢.

(٢٢) الْكَشَافُ عَنْ حَقَائِقِ التَّنْزِيلِ وَعُيُونِ الْأَقْوَالِ فِي وُجُوهِ التَّأْوِيلِ، الرَّمُحْشَرِيُّ: ١٤٣/٤.

مِنْهَا إِلَى التَّنْبِيهِ. وَلَعَلَّ أَفْضَلَ مَا يُوضِحُ الْعِلَاقَةَ بَيْنَهُمَا هُوَ تِلْكَ الْمُحَاوَرَةُ الَّتِي جَرَتْ بَيْنَ الْعَضْبَانَ ابْنِ الْقَبْعَثَرِيِّ الشَّيْبَانِيِّ الْبَصْرِيِّ وَالْحَجَّاجِ إِذْ تُعَدُّ مِنْ أَشْهُرِ أَمْثَلَةِ الْبَلَاعِيِّينَ عَلَى الْأَسْلُوبِ الْحَكِيمِ .

فَقَدْ بَلَغَ الْحَجَّاجُ أَنَّ ابْنَ الْقَبْعَثَرِيِّ لَمَّا ذَكَرَ الْحَجَّاجُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَصْحَابِهِ فِي بُسْتَانٍ، قَالَ: اللَّهُمَّ سَوِّدْ وَجْهَهُ، وَأَقْطَعْ عُنُقَهُ، وَاسْقِنِي مِنْ دَمِهِ^(٢٣) فَوَشِيَ بِهِ إِلَى الْحَجَّاجِ، فَلَمَّا مَثَلَ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَسَأَلَهُ عَنْ ذَلِكَ! قَالَ: إِنَّمَا أَرَدْتُ الْعِنَبَ. فَقَالَ لَهُ الْحَجَّاجُ مُتَوَعِّدًا: «لَأَحْمِلَنَّكَ عَلَى الْأَذْهَمِ» يُرِيدُ الْحَجَّاجُ الْقَيْدَ الْحَدِيدَ. فَقَالَ ابْنُ الْقَبْعَثَرِيِّ: «مِثْلُ الْأَمِيرِ يَحْمِلُ عَلَى الْأَذْهَمِ وَالْأَشْهَبِ» يَعْنِي: الْفَرَسَ الْأَسْوَدَ وَالْفَرَسَ الْأَبْيَضَ. فَقَالَ لَهُ الْحَجَّاجُ: «أَرَدْتُ الْحَدِيدَ» فَقَالَ ابْنُ الْقَبْعَثَرِيِّ: لِأَنْ يَكُونَ حَدِيدًا خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَكُونَ بَلِيدًا، وَكَانَ مُرَادُهُ تَخْطِئَةَ الْحَجَّاجِ بِأَنَّ الْإِلْيَاقَ بِهِ الْوَعْدُ لَا الْوَعْدُ^(٢٤). فَالْأَسْلُوبُ الْحَكِيمُ يَتَمَثَّلُ فِي إِجَابَتِي ابْنِ الْقَبْعَثَرِيِّ الْمُعْتَمَدَتَيْنِ عَلَى عِبَارَتِي الْحَجَّاجِ .

وَأَمَّا الثَّوْرِيَّةُ فَتَتَمَثَّلُ فِي كَلِمَتِي (الْأَذْهَمِ) وَ(حَدِيدِ)، فَقَدْ كَانَتْ كَالْجِسْرِ أَوْ الْقَنْطَرَةِ الَّتِي عَبَّرَ مِنْ خِلَالِهَا الْعُدُولُ الَّذِي يُمَثِّلُ حَقِيقَةَ هَذَا النَّوعِ مِنَ الْأَسْلُوبِ الْحَكِيمِ؛ إِذَا إِنَّ مَجِيءَ كَلِمَةِ الْأَذْهَمِ مُحْتَمِلَةٌ لِمَعْنِيَيْنِ أَحَدُهَا هُوَ مُرَادُ الْحَجَّاجِ، وَهُوَ الْقَيْدُ الْحَدِيدُ، وَالثَّانِي كَانَ مَحْرَجًا لِابْنِ الْقَبْعَثَرِيِّ وَهُوَ الْفَرَسُ الْأَسْوَدُ، وَمِثْلُ ذَلِكَ يُقَالُ عَنْ كَلِمَةِ (حَدِيدِ)^(٢٥) .

رَابِعًا: تَجَاهُلُ الْعَارِفِ^(٢٦):

وَهُوَ سُؤَالُ الْمُتَكَلِّمِ عَمَّا يَعْلَمُهُ حَقِيقَةً تَجَاهُلًا مِنْهُ؛ لِيُخْرِجَ كَلَامَهُ مَخْرَجَ الْمَدْحِ أَوْ الدَّمِّ، أَوْ لِيَدُلَّ عَلَى شِدَّةِ التَّدَلُّهِ فِي الْحُبِّ، أَوْ لِقَصْدِ النَّعْجِبِ أَوْ التَّقْرِيرِ، أَوْ التَّوْبِيخِ^(٢٧).

(٢٣) وَلَعَلَّ هَذِهِ الْأَمْثَلَةُ تَصْلُحُ مَثَالًا لِلثَّوْرِيَّةِ فِي افْتِرَاقِهَا عَنِ الْأَسْلُوبِ الْحَكِيمِ؛ لِفَقْدِهَا شَرْطِيهِ السَّابِقِينَ، وَعَنِ الْقَوْلِ بِالْمُوجِبِ؛ لِفَقْدِهَا شَرْطَ الْمُحَاوَرَةِ.

(٢٤) يُنْظَرُ: جَوَاهِرُ الْبَلَاعَةِ: ٣١٩.

(٢٥) يُنْظَرُ: الْأَسْلُوبُ الْحَكِيمِ: ٣٦.

(٢٦) وَهَذِهِ تَسْمِيَةٌ لِابْنِ الْمُعْتَزِّ كَمَا الْبَدِيعُ: ١٥٧. وَسَمَّاهُ السَّكَاكِي: «سَوْقُ الْمَعْلُومِ مَسَاقٍ غَيْرِهِ»؛ لِتُكْتَفَى. إِذْ قَالَ: «لَا أُحِبُّ تَسْمِيَتَهُ بِالتَّجَاهُلِ»؛ لَوُرُودِهِ فِي كَلَامِ اللَّهِ تَعَالَى. مِفْتَاحُ الْعُلُومِ: ٥٣٧، وَيُنْظَرُ: الْإِيضَاحُ: ٣٥١ .

كَقَوْلِ زُهَيْرٍ فِي الذَّمِّ^(٢٨): (الْوَافِرُ) :

وَمَا أَدْرِي وَسَوْفَ أَحَالَ أَدْرِي أَقْوَمُ آلَ حِصْنٍ أَمْ نِسَاءِ

وَهُوَ مِنَ الْمَحْسَنَاتِ الْمَعْنَوِيَّةِ فِي عِلْمِ الْبَدِيعِ، يُقْوَمُ عَلَى إِجْرَاءِ الْكَلَامِ، لَا عَلَى مُقْتَضَى الظَّاهِرِ؛ لِأَعْرَاضِ بِلَاغِيَّةٍ، وَهُوَ بِهَذَا الْعُدُولِ عَنِ مُقْتَضَى الظَّاهِرِ، يُوَافِقُ الْأُسْلُوبَ الْحَكِيمَ، فَضَلًّا عَنِ أَنَّهُ يُقْوَمُ عَلَى السُّؤَالِ؛ لِذَا فَهُوَ يَشْتَبُهُ بِأَحَدِ نَوْعِي الْأُسْلُوبِ الْحَكِيمِ، وَلَعَلَّ هَذَا الَّذِي دَفَعَ الدُّكْتُورُ فَضْلُ حَسَنِ عَبَّاسٍ إِلَى التَّقْرِيبِ بَيْنَهُمَا فَقَالَ: «تَجَاهُلُ الْعَارِفِ، وَهُوَ قَرِيبٌ مِنَ الْأُسْلُوبِ الْحَكِيمِ»^(٢٩)، وَلَعَلَّهُ أَخَذَهُ عَنِ السُّبْكِيِّ إِذْ قَالَ: «وَهَذَا الْقِسْمُ (أَيُّ: الْأُسْلُوبِ الْحَكِيمِ) قَرِيبٌ، أَوْ هُوَ مِنْ تَجَاهُلِ الْعَارِفِ، بِزِيَادَةِ إِشَارَةِ إِلَى سِفْهِ رَأْيِ الْمُخَاطَبِ، وَهُوَ قَرِيبٌ مِنَ الْقَوْلِ بِالْمُوجِبِ»^(٣٠).

وَالْحَقِيقَةُ إِنَّ الْفَرْقَ بَيْنَهُمَا كَبِيرٌ، وَهُوَ يَتِمَّتْ فِي خَمْسَةِ أُمُورٍ:

أَوَّلًا: الْمَحْوَرُ: فَمَحْوَرُ الْأُسْلُوبِ الْحَكِيمِ هُوَ الْمَحَاوَرَةُ بَيْنَ اثْنَيْنِ، فِي حِينٍ إِنَّ مَحْوَرَ تَجَاهُلِ الْعَارِفِ هُوَ الْمُتَكَلِّمُ وَحْدَهُ، فَهُوَ وَحْدَهُ مَحْوَرُ هَذَا الْأُسْلُوبِ.

ثَانِيًا: الْمَصْدَرُ: فَمَصْدَرُ الْأُسْلُوبِ الْحَكِيمِ هُوَ الْمُخَاطَبُ أَوْ الْمُجِيبُ، فِي حِينٍ إِنَّ مَصْدَرَ تَجَاهُلِ الْعَارِفِ هُوَ السَّائِلُ وَحْدَهُ فَقَطْ.

ثَالِثًا: الصِّيغَةُ: فَالسُّؤَالُ فِي الْأُسْلُوبِ الْحَكِيمِ يَطْلُبُ جَوَابًا، يَتَكَوَّنُ مِنْهُ هَذَا الْأُسْلُوبُ، فِي حِينٍ إِنَّ السُّؤَالَ فِي تَجَاهُلِ الْعَارِفِ لَا يُطْلَبُ جَوَابًا؛ لِأَنَّ حَقِيقَةَ هَذَا الْأُسْلُوبِ تَكْمُنُ فِي السُّؤَالِ لَا فِي الْجَوَابِ فَتَجَاهُلُ الْعَارِفِ يَكْمُنُ فِي السُّؤَالِ وَالْأُسْلُوبِ الْحَكِيمِ يَكْمُنُ فِي الْجَوَابِ.

(٢٧) يُنْظَرُ: تَحْرِيرُ التَّحْبِيرِ: ١٣٥، نَهَايَةُ الْإِزْبِ فِي فُنُونِ الْأَدَبِ: ١٢٣/٧.

(٢٨) دِيوَانُهُ: ١٧.

(٢٩) الْبَلَاغَةُ فُنُونُهَا وَأَفْنَائُهَا، د. فَضْلُ حَسَنِ عَبَّاسٍ: ٢٩٢.

(٣٠) عَرُوسُ الْأَفْرَاحِ: ٣٨٤/١.

رابعاً: الغاية، فالأسلوب الحكيم غايته تنبيه المخاطب أو السائل، ومزاعاة ما هو أولى بحالهما، في حين إن غاية تجاهل العارف تتمثل في تلك الأغراض التي وردت في التعريف والتي في غالبها من حظ ذلك العارف.

خامساً: الحقيقة والماهية: فالأسلوب الحكيم تقوم حقيقته على التعالم المبني على التجاهل، في حين إن حقيقة تجاهل العارف تقوم على التجاهل المبني على التعالم .

خامساً: المشاكلة :

وهي ذكر الشيء بلفظ غيره؛ لوقوعه ضحبتة تحقيقاً أو تقديراً^(٣١)، كقول جحظة البرمكي متضرعاً^(٣٢):
[الكامل]

قَالُوا اقْتَرِحْ شَيْئاً نُحَدِّثُكَ طَبْخَهُ قُلْتُ اطْبُخُوا لِي جَبَّةً وَقَمِيصاً

أَيَّ حَيْطُوا، فَذَكَرَ الْحَيَاطَةَ بِلَفْظِ الطَّبْخِ؛ لِقُوعِهَا ضَحْبَةً الطَّبْخِ^(٣٣).

والمشاكلة من المحسنات البديعية المعنوية؛ «وإنما عُدت المشاكلة من المحسنات المعنوية، وإن كانت تتعلق بالالفاظ؛ لأنها تنقل المعنى من لباس إلى آخر؛ لأن اللفظ لباس للمعنى، ففيها إيراد المعنى بصورة عجيبة»^(٣٤)، وهي فن لطيف وموضوع ظريف، ينتج المعنى من خلال المشاكلة في اللفظ؛ لذا «فإن للمشاكلة دوراً في حسن التعبير وبلاغته»^(٣٥)؛ متى «أتى بها جيدة الأداء والمعنى»^(٣٦).

(٣١) ينظر: معاهد التنصيص: ٢٥٢/٢.

(٣٢) النيث لجحظة البرمكي (ت ٥٣٢هـ)، فقد نسبته الثعالبي إليه، في خاص الخاص، الثعالبي: ١٣٨.

(٣٣) ينظر: الإيضاح: ٣٧٢.

(٣٤) دراسات في البلاغة العربية، د. عبد العاطي غريب علام: ١٨٠.

(٣٥) علم البديع دراسة تاريخية وفنية لأصول البلاغة ومسائل البديع، د. بسبوني عبد الفتاح: ١٦٣.

(٣٦) البلاغة العربية بين التقليد والتجديد، د. محمد عبد المنعم خفاجي، د. عبد العزيز شرف: ١٧١.

أما علاقة المُشاكَلَة بِالأُسْلُوبِ الحَكِيمِ فَيَرَى الدُّكْتُورُ مُحَمَّدُ عَبْدِ المُطَلِّبِ فِي قِرَاءَةِ أُخْرَى لِلْبَلَاغَةِ العَرَبِيَّةِ تِلْكَ الصِّلَةَ الوَثِيقَةَ بَيْنَ بُنْيَةِ هَذَا الفَنِّ البَدِيعِيِّ (المُشاكَلَة) وَالأُسْلُوبِ الحَكِيمِ إِذْ يَقُولُ « تَكَادُ تَتَّصِلُ بُنْيَةُ المُشاكَلَةِ بِبُنْيَةِ أُخْرَى هِيَ الأُسْلُوبُ الحَكِيمُ... لَكِنْ مَعَ إِضَافَةٍ لَهَا أَهَمِّيَّتُهَا، إِذْ إِنَّ البُنْيَةَ فِي (الأُسْلُوبِ الحَكِيمِ) تَخْتَلِفُ عَنِ بُنْيَةِ المُشاكَلَةِ فِي احتِياجِهَا إِلَى سِياقِ تَحَاوِرِيٍّ يَجْمَعُ بَيْنَ طَرَفَيْنِ لِكُلِّ مِنْهُمَا مَلْفُوظٌ، غَيْرَ أَنَّ مَلْفُوظَ الثَّانِي يَأْتِي عَلَى غَيْرِ مُقْتَضَى الظَّاهِرِ»^(٣٧). فَوَجَّهَ الاِِتِّصَالَ بَيْنَ هَذَيْنِ المُحَسِّنَيْنِ المَعْنَوِيَيْنِ فِي عِلْمِ البَدِيعِ أَنَّ كِلَيْهِمَا قَائِمٌ عَلَى مَبْدَأِ العُدُولِ وَالخُرُوجِ عَنِ مُقْتَضَى الظَّاهِرِ، مَعَ التِّكْرَارِ الشَّكْلِيِّ فِي الِالْفَاطِ، مِمَّا يَنْتُجُ عَنْهُ مُمَاتَلَةٌ عَلَى السَّطْحِ، وَمُقَابَلَةٌ فِي العُمُقِ^(٣٨)، فِي حِينِ يَكْمُنُ وَجْهُ الاِنْتِطَاعِ فِي احتِياجِ الأُسْلُوبِ الحَكِيمِ إِلَى ذَلِكَ السِّيَاقِ التَّحَاوِرِيِّ اللَّفْظِيِّ .

جَدْوَلٌ يُوَضِّحُ الفُرُوقَ بَيْنَ هَذِهِ الفُنُونِ

ت	الفنُّ البلاغيُّ	نوعُ الخُطابِ	طريقتهُ	الغرضُ منه
١	والأُسْلُوبُ الحَكِيمُ	تَحَاوِرِيٌّ	العُدُولُ عَنِ مُقْتَضَى الظَّاهِرِ	تَثْبِيهُ المُخاطَبِ إِلَى ما هُوَ أَوْلَى
٢	القَوْلُ بِالمُوجِبِ	تَحَاوِرِيٌّ	العُدُولُ عَنِ مُقْتَضَى الظَّاهِرِ	الرَّدُّ عَلَى المُخاطَبِ مِنْ فُحْوَى كِلامِهِ
٣	التَّوْرِيَّةُ	ابْتِدَائِيٌّ وَتَحَاوِرِيٌّ	العُدُولُ عَنِ مُقْتَضَى الظَّاهِرِ	تَمْوِينُ المُخاطَبِ
٤	تجاهلُ العارفِ	ابْتِدَائِيٌّ (سُؤَالَ)	التجاهلُ	التَّدْلَةُ وَالتَّعْجُبُ وَالتَّقْرِيرُ وَالتَّوْبِيحُ وَغَيْرُهَا
٥	المُشاكَلَةُ	ابْتِدَائِيٌّ وَتَحَاوِرِيٌّ	العُدُولُ عَنِ مُقْتَضَى الظَّاهِرِ	بِحَسَبِ المَقَالِ

(٣٧) البلاغَةُ العَرَبِيَّةُ قِرَاءَةُ أُخْرَى: ٣٧٧.

(٣٨) م.ن: ٣٧٦.

الخاتمة:

بَعْدَ هَذِهِ الرَّحْلَةِ الْبَلَاغِيَّةِ الْمُمتَعَةِ فِي دِرَاسَةِ هَذِهِ الْفُنُونِ وَالْأَسَالِيْبِ الْبَدِيعِيَّةِ، وَالْمُحَسِّنَاتِ الْمَعْنَوِيَّةِ، وَالْوُقُوفِ عَلَى مُشْكَلَةِ الْبَحْثِ وَمُحَاوَلَةِ حَلِّهَا، اسْتَطَاعَ الْبَحْثُ أَنْ يُسَجِّلَ شَيْئاً مِنَ النَّتَائِجِ الَّتِي تَمَخَّصَتْ عَنْهَا هَذِهِ الرَّحْلَةُ :

✽ يُوجِي لَفْظُ الْمَشَاكَلَةِ بِأَمْرَيْنِ؛ ظَاهِرٍ وَبَاطِنٍ، سَبَبٍ وَنَتِيجَةٍ؛ فَالظَّاهِرُ هُوَ (التَّشَاكُلُ) بَيْنَ الْأَشْيَاءِ، وَمِنْهَا تَشَاكُلُ هَذِهِ الْفُنُونِ وَتَشَابُهُهَا، وَالْبَاطِنُ هُوَ (الإشْكَالُ) الَّذِي يُسَبِّبُهُ هَذَا التَّشَاكُلُ بَيْنَ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ؛ فَالْأَوَّلُ وَهُوَ (التَّشَاكُلُ) هُوَ السَّبَبُ، وَالثَّانِي وَهُوَ (الإشْكَالُ) هُوَ النَّتِيجَةُ؛ وَهَذَا أَمْرٌ مُطَرِّدٌ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْمَشْكَلَاتِ؛ وَمِنْهَا مُشْكَلَةُ الْبَحْثِ .

✽ تَقُومُ هَذِهِ الْفُنُونُ وَالْأَسَالِيْبُ عَلَى ثَلَاثَةِ أَرْكَانٍ أَوْ دَعَائِمٍ؛ وَهِيَ (نَوْعُ الْخِطَابِ وَطَرِيقَتُهُ وَالْغَرَضُ مِنْهُ)؛ فَالْخِطَابُ؛ إِمَّا ابْتِدَائِيٌّ أَوْ تَحَاوِرِيٌّ، وَالطَّرِيقَةُ؛ إِمَّا عَلَى مُفْتَضَى الظَّاهِرِ أَوْ عَلَى خِلَافِ مُفْتَضَى الظَّاهِرِ، وَالْغَايَةُ أَوْ الْحِكْمَةُ أَوْ الْغَرَضُ مِنْهُ؛ فَكُلٌّ بِحَسَبِهِ، وَهَذِهِ الْأَسَالِيْبُ تَخْتَلِفُ فِيمَا بَيْنَهَا مِنْ هَذِهِ الْحَيَثِيَّاتِ، كَمَا مَرَّ بِنَا فِي الْجَدُولِ .

✽ إِنَّ جَمِيعَ هَذِهِ الْأَسَالِيْبِ وَالْفُنُونِ تَنْطَلِقُ مِنَ اللَّفْظِ مُتَلَاعِبَةً بِالْمَعْنَى بِحَسَبِ قَصْدِ الْمُتَكَلِّمِ بِهَا؛ تَنْبِيْهَا أَوْ تَمْوِيْهَا أَوْ تَنْوِيْهَا .

✽ كَشَفَ الْبَحْثُ عَنْ جَمَالِيَّةِ هَذِهِ الْفُنُونِ وَالْأَسَالِيْبِ وَبَلَاغَتِهَا فِي الْعُدُولِ عَنْ لَفْظِ الْمُتَكَلِّمِ أَوْ قَصْدِهِ، وَمَا تَحْمِلُهُ مَفَاجَأَةُ الْعُدُولِ مِنْ (صَدْمَةٍ جَمَالِيَّةٍ) تَنْزُكُ فِي نَفْسِ الْمُتَلَقِّي (مُتَعَةً نَفْسِيَّةً)؛ وَذَلِكَ بِكَسْرِ أَفْقِ التَّوَقُّعِ لَدَيْهِ، وَاسْتِفْرَازِهِ لِلْكَشْفِ عَمَّا وَرَاءَ ذَلِكَ الْأَفْقِ .

✽ أَقْرَبَ هَذِهِ الْفُنُونِ وَالْأَسَالِيْبِ إِلَى الْأَسْلُوبِ الْحَكِيمِ هُوَ الْقَوْلُ بِالْمُوجِبِ، فَالتَّوْرِيَّةُ، فَالْمُشَاكَلَةُ، وَأَخِيرًا تَجَاهُلُ الْعَارِفِ .

ثَبْتُ الْمَصَادِرِ وَالْمَرَاجِعِ

١. الأُسْلُوبُ الْحَكِيمُ، دِرَاسَةٌ بَلَاغِيَّةٌ تَحْلِيلِيَّةٌ، د. مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ مُحَمَّدٍ الصَّامِلِ، ط١، دَارُ اشْبِيلِيَا لِلنَّشْرِ وَالتَّوْزِيْعِ، الرِّيَاضِ، السُّعُودِيَّةِ، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
٢. أَنْوَارُ الرَّبِيعِ فِي أَنْوَاعِ الْبَدِيعِ، صَدْرُ الدِّينِ ابْنِ مَعْصُومِ الْمَدَنِيِّ (ت ١١٢٠هـ)، حَقَّقَهُ وَتَرَجَمَ لَشَعْرَائِهِ: شَاكِرُ هَادِي شَاكِرٍ، ط١، مَطْبَعَةُ النِّعْمَانِ، النَّجْفِ، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م.
٣. الْإِيضَاحُ فِي عُلُومِ الْبَلَاغَةِ (الْمَعَانِي وَالْبَيَانَ وَالْبَدِيعُ)، مُخْتَصَرٌ تَلْخِيصِ الْمِفْتَاحِ، الْخَطِيبُ جَلَالُ الدِّينِ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدٌ سَعْدُ الدِّينِ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْقَرْوِينِيُّ (ت ٧٣٩هـ) تَحْقِيقُ بَهْجِ غَزَاوِيِّ، دَارُ إِحْيَاءِ الْعُلُومِ، بَيْرُوتَ، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
٤. الْبَلَاغَةُ الْعَرَبِيَّةُ بَيْنَ التَّقْلِيدِ وَالتَّجْدِيدِ، د. مُحَمَّدُ عَبْدِ الْمُنْعِمِ خَفَاجِي، د. عَبْدِ الْعَزِيزِ شَرْفٍ، ط١، دَارُ الْجِيلِ، بَيْرُوتَ، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
٥. الْبَلَاغَةُ الْعَرَبِيَّةُ، قِرَاءَةٌ أُخْرَى، د. مُحَمَّدُ عَبْدِ الْمُطَّلَبِ، الشَّرِكَةُ الْعَالَمِيَّةُ لِلنَّشْرِ وَالتَّوْزِيْعِ، الْأُرْدُنُ، (د.ط.)، (د.ت.).
٦. الْبَلَاغَةُ فُنُونُهَا وَأَفْنَانُهَا، عِلْمُ الْبَيَانَ وَالْبَدِيعِ، د. فَضْلُ حَسَنِ عَبَّاسٍ، ط١، دَارُ الْفَرْقَانِ لِلنَّشْرِ وَالتَّوْزِيْعِ، عَمَّانَ، الْأُرْدُنُ، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
٧. الْبَيَانَ وَالتَّبْيِينُ، أَبُو عُثْمَانَ عَمْرُو بْنُ بَحْرِ الْجَاخِظُ (ت ٢٥٥هـ)، تَحْقِيقُ وَشَرْحُ: عَبْدِ السَّلَامِ هَارُونَ، ط١، مَكْتَبَةُ ابْنِ سِينَا، الْقَاهِرَةَ، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.
٨. التَّبْيَانُ فِي الْبَيَانِ، شَرْفُ الدِّينِ الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الطَّيْبِيُّ (ت ٧٤٣هـ)، تَحْقِيقُ: د. تَوْفِيقِ الْفَيْلِ، عَبْدِ الطَّيْفِ أَلْفِ اللَّهِ، ط١، مَطْبَعَةُ دَاتِ السَّلَاسِلِ لِلطَّبَاعَةِ وَالتَّوْزِيْعِ، الْكُوَيْتُ، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
٩. تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، أَبُو الْفَدَاءِ إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَمْرِ بْنِ كَثِيرِ الْقُرَشِيِّ الْبَصْرِيِّ ثُمَّ الدَّمَشْقِيُّ (ت ٧٧٤هـ)، تَحْقِيقُ: سَامِي بْنُ مُحَمَّدٍ سَلَامَةَ، ط٢، دَارُ طَيْبَةَ، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

١٠. توضيح المشتبه في أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكناهم، ابن ناصر الدين الدمشقي، ط١، مؤسسه الرسالة، بيروت، تحقيق: محمد نعيم العرقوسي، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.
١١. جواهر البلاغة، السيد أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي (ت ١٣٦٢هـ)، ضبط وتدقيق وتوثيق: د. يوسف الصميلي، ط١، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م.
١٢. الحيوان، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت ٢٥٥هـ)، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.
١٣. خاص الخاص، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي (ت ٤٢٩هـ)، تحقيق: حسن الأمين، دار مكتبة الحياة، بيروت، (د.ط)، (د.ت).
١٤. خزنة الأدب وغاية الإرب، تقي الدين أبو بكر علي الشهير بابن حجة الحموي (ت ٨٣٧هـ)، تحقيق: عصام شعيتو، ط١، مكتبة الهلال، بيروت، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
١٥. دراسات في البلاغة العربية، د. عبد العاطي غريب غلام، ط١، منشورات جامعة قارينوس، بنغازي، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
١٦. ديوان زهير بن أبي سلمى، شرحه وقدم له: الأستاذ علي حسن فاعور، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
١٧. زهر الأكم في الأمثال والحكم، الحسن بن مسعود بن محمد أبو علي نور الدين اليوسي (ت ١١٠٢هـ)، تحقيق: د. محمد حجي، د. محمد الأخضر، ط١، ١٤١٠هـ - ١٩٨١م.
١٨. الصبغ البدعي في اللغة العربية، د. أحمد إبراهيم موسى، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٩م.
١٩. عروس الأفراح، شرح تلخيص المفتاح، بهاء الدين أبو حامد أحمد بن علي بن عبد الكافي السبكي (ت ٧٧٣هـ)، تحقيق: د. خليل إبراهيم خليل، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

٢٠. عِلْمُ الْبَدِيعِ دِرَاسَةٌ تَارِيخِيَّةٌ وَفَنِيَّةٌ لِأُصُولِ الْبَلَاغَةِ وَمَسَائِلِ الْبَدِيعِ، د. بَسِيُونِي عَبْدِ الْفَتَّاحِ، ط٢، مَوْسَسَةُ الْمُخْتَارِ لِلنَّشْرِ وَالتَّوْزِيعِ، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.
٢١. الْعَيْنُ، الْخَلِيلُ بْنُ أَحْمَدَ الْفَرَاهِيدِيِّ (ت ١٧٠هـ)، تَرْتِيبُ وَتَحْقِيقُ د. عبد الحميد هندراوي، ط١، دَارُ الْكُتُبِ الْعِلْمِيَّةِ، بَيْرُوتُ، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
٢٢. لِسَانُ الْعَرَبِ، جَمَالُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ مُكْرَمِ بْنِ مَنْظُورٍ (ت ٧١١هـ)، ط٦، دَارُ صَادِرٍ، بَيْرُوتُ، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
٢٣. مَعَاهِدُ التَّنْصِيفِ عَلَى شَوَاهِدِ التَّلْخِصِ، عبد الرحيم بن أحمد العباسي (ت ٩٦٣هـ)، حققه وعلق على حواشيه ووضع فهرسه: مُحَمَّدُ مَحْيِ الدِّينِ عبد الحميد، عَالَمُ الْكُتُبِ، بَيْرُوتُ، ١٣٦٧هـ - ١٩٤٧م.
٢٤. مِفْتَاحُ الْعُلُومِ، أَبُو يَعْقُوبَ يُوسُفُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ السَّكَّائِي الْخَوَّازِمِيُّ (ت ٦٢٦هـ)، حَقَّقَهُ وَقَدَّمَ لَهُ وَفَهَّرَسَهُ الدُّكْتُورُ عبدُ الحَمِيدِ هِنْدَاوِي، ط٢، دَارُ الْكُتُبِ الْعِلْمِيَّةِ، بَيْرُوتُ، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.
٢٥. مَقَابِيسُ اللَّغَةِ، أَبُو الْحَسَنِ أَحْمَدُ بْنُ فَارِسِ بْنِ زَكَرِيَّا (ت ٣٩٥هـ)، ط١، دَارُ إِحْيَاءِ التُّرَاثِ الْعَرَبِيِّ، بَيْرُوتُ، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
٢٦. نِهَآيَةُ الْإِرْبِ فِي فُنُونِ الْأَدَبِ، أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الدَّائِمِ، الْفَرَشِيِّ التَّمِيمِيِّ الْبَكْرِيُّ، شَهَابُ الدِّينِ النُّوَيْرِيُّ (ت ٧٣٣هـ)، ط١، دَارُ الْكُتُبِ وَالْوَتَائِقِ الْقَوْمِيَّةِ، الْقَاهِرَةُ، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م